

تفسير البحر المحيط

@ 488 لَمْ يَعْزَلَمْ * كَلَّا - إِنَّ - الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى * أَنْ رَّءَاهُ اسْتَغْنَى
 * إِنَّ - إِلَيَّ رِبِّكَ الرَّجُوعَى * أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا
 صَلَّيَ * أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَى *
 أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * أَلَمْ يَعْزَلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى * كَلَّا -
 لَئِنْ لَمْ يَنْتَه لِنَسْفَعَا بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ *
 فَلَا يَدْعُ نَادِيَهُ * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ * كَلَّا - لَا تَطِيعُهِ الْوَاسِجِدُ
 وَاقْتَرَبَ { } \$ < 7 ! .

السفع ، قال المبرد : الجذب بشدة ، وسفع بناصية فرسه : جذب ، قال عمرو بن معد يكرب :
 % (قوم إذا كثر الصياح رأيتهم % .
 من بين ملجم مهره أو سافع .
 %) .

وقال مؤرج : معناه الأخذ بلغة قريش ، النادي والندی : المجلس ، ومنه قول الأعرابية :
 سيد نادية وثمان عافيه ، وقال زهير : % (وفيهم مقامات حسان وجوهم % .
 وأندية ينتابها الفول والفعل .
 %) .

الزبانية : ملائكة العذاب ، فليل : جمع لا واحد له من لفظه ، كعباديد . وقيل : واحد
 زبانية على وزن حدرية وعفريه ، قاله أبو عبيدة . وقال الكسائي : زبني ، وكأنه نسب إلى
 الزبن ثم غير للنسب ، كقولهم : أنسي وأصله زباني . قال عيسى بن عمرو الأخفش : واحد
 زابن ، والعرب تطلق هذا الاسم على من اشتد بطشه ، ومنه قول الشاعر : % (ومستعجب مما
 يرى من أناتنا % .

ولو زبنته الحرب لم يترمم .
 %) .

وقال عتبة بن أبي سفيان : وقد زبنتنا الحرب وزبناها . .

{ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَاقٍ * اقْرَأْ

وَرَبُّكَ الْكَرِيمُ * الَّذِي عَلَّمَكَ * بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا
لَمْ يَعْلَمْ * كَلَّا * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَذِي طُغْيَى * أَنْ رَّاهُ اسْتَغْنَى * إِنَّ
إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى * أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى *
أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَى * أَرَأَيْتَ إِنْ
كَذَّبَ وَتَوَلَّى * أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى * كَلَّا * لَئِنْ لَمْ
يَنْتَهَ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ * فَلَا يَدْعُ
نَادِيَهُ * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ * كَلَّا * لَا تُطِيعُهُ * وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ } .

هذه السورة مكية ، وصدرها أول ما نزل من القرآن ، وذلك في غار حراء على ما ثبت في صحيح البخاري وغيره . وقول جابر : أول ما نزل المديثر . وقول أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل : أول ما نزل الفاتحة لا يصح . وقال الزمخشري ، عن ابن عباس ومجاهد : هي أول سورة نزلت ، وأكثر المفسرين على أن الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم ، انتهى . ولما ذكر فيما قبلها خلق الإنسان في أحسن تقويم ، ثم ذكر ما عرض له بعد ذلك ، ذكره هنا منبهاً على شيء من أطواره ، وذكر نعمته عليه ، ثم ذكر طغيانه بعد ذلك وما يؤل إليه حاله في الآخرة . . . وقرأ الجمهور : { اقْرَأْ } بهمزة ساكنة ؛ والأعشى ، عن أبي بكر ، عن عاصم : بحذفها ، كأنه على قول من يبدل الهمزة بمnasب حركتها فيقول : قرأ يقرأ ، كسعى يسعى . فلما أمر منه قيل : اقر بحذف الألف ، كما تقول : اسع ، والظاهر تعلق الباء باقراً وتكون للاستعانة ، ومفعول اقرأ محذوف ، أي اقرأ ما يوحى إليك . وقيل : { بِرَاسْمِ رَبِّكَ } هو المفعول وهو المأمور بقراءته ، كما تقول : اقرأ الحمد . . . وقيل : المعنى اقرأ في أول كل سورة ، وقراءة بسم الله الرحمن الرحيم . وقال الأخف 5 : الباء بمعنى على ، أي اقرأ على اسم الله ، كما قالوا في قوله : { وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ } ، أي على اسم الله . . . وقيل : المعنى اقرأ القرآن مبتدئاً باسم ربك . وقال الزمخشري : محل باسم ربك النصب على الحال ، أي اقرأ مفتتحاً باسم ربك ، قل بسم الله ثم اقرأ ، انتهى . وهذا قاله قتادة . المعنى : اقرأ ما أنزل عليك من القرآن مفتتحاً باسم ربك . وقال أبو عبيدة : الباء صلة ، والمعنى اذكر ربك . وقال أيضاً : الاسم صلة ، والمعنى اقرأ بعون ربك وتوفيقه . وجاء باسم ربك ، ولم يأت بلفظ الجلالة لما في لفظ الرب من معنى الذي رباك ونظر في مصلحتك . وجاء الخطاب ليدل على الاختصاص والتأنيس ، أي ليس لك رب غيره . ثم جاء بصفة الخالق ، وهو المنشئ للعالم لما كانت العرب تسمى الأصنام أرباءً . أتى بالصفة التي لا يمكن شركة الأصنام فيها ، ولم يذكر متعلق الخلق أولاً ، فالمعنى أنه قصد إلى استبداده بالخلق ، فاقصر أو حذف ، إذ معناه خلق كل شيء . . .

ثم ذكر خلق الإنسان ، وخصه من بين المخلوقات لكونه هو المنزل إليه ، وهو أشرف . قال

الزمخشري : أشرف ما على الأرض ، وفيه دسيسة أن الملك أشرف . وقال : ويجوز أن يراد الذي خلق الإنسان ، كما قال : { الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ } ؛ ف قيل : الذي خلق مبهماً ، ثم فسر به بقوله : خلق تفخيماً لخلق الإنسان ودلالة على عجب فطرته ، انتهى . والإنسان هنا اسم جنس ، والعلق جمع علقه ، فلذلك جاء من علق ، وإنما ذكر من خلق من علق لأنهم مقرون به ، ولم يذكر أصلهم آدم ، لأنه ليس متقررًا عند الكفار فيسبق الفرع ، وترك أصل الخلقة تقريباً لأفهامهم . .

ثم جاء الأمر ثانياً تأنيساً له ، كأنه قيل : امض لما أمرت به ، وربك ليس مثل هذه الأرباب ، بل هو الأكرم الذي لا يلحقه نقص . والأكرم صفة تدل على المبالغة في الكرم ، إذ كرمه يزيد على كل كرم ينعم بالنعمة التي لا تحصى ، ويحلم على الجاني ، ويقبل التوبة ، ويتجاوز عن السيئة . وليس وراء التكرم بإفادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال : { الْكَرَمُ * الذِّى عَلَّمَكُمْ * بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } ، فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا ، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ، ونبه على أفضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو . وما دونت العلوم ، ولا قيدت الحكم ، ولا ضبطت أخبار الأولين ولا مقالاتهم ولا كتب الحكمة إلا بالكتابة ، ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا ، ولو لم يكن على دقيق حكمة إلا تعالى ولطيف تدبيره دليل إلا أمر الخط والقلم لكفى به . ول بعضهم في الأقلام : % (ورواقم رقص كمثل أراقم % .

قطف الخطان يا له أقصى المدى .

. %)

% (سود القوائم ما يجد مسيرها % .

إلا إذا لعبت بها بيض المدى .

. %)